عاش سكان هذه المخيمات تحت وطأة ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية قاسية جدا . لقد كانت الجماهير الفلسطينية في لبنان محرومة من أبسط حقوق الانسان، كانت محرومة حتى من حق العمل ولم يكن من السهل ان يحصل اللاجيء الفلسطيني على اجازة عمل وكثيرا ما سمعنا عن مطاردة قوات الامن للعمال الفلسطينيين واصحاب الحوانيت الصغيرة والصيادين بغية منعهم من العمل . وقد وجهت ضغوط مستمرة في الماضي لمنع الجماهير الفلسطينية من ممارسة اي نشاط تنظيمي سواء كان ذا صبغة سياسية أم اجتماعية ، ولم يكن يسمح للشباب الفلسطيني ان ينتسب الى فرقة كشافة او ان يكون فرقة لكرة القدم مثلا . وكانت ظروف الاحتقار والتمييز ضد الفلسطيني تجعله يعيش حالة من النقمة المستمرة ، وهكذا تضافرت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية لتجعل من (البروليتاريا الدنيا) في المخيمات نواة خصبة مهيأة للانخراط في الثورة وتكوين القاعدة الصلبة لها ، وحين اخذ التركيز الثوري الفلسطيني ينتقل من الاردن الى لبنان وجد التربة مواتية ووجد المخيمات الفلسطينية ، التي كانت قد قطعت شوطا جيدا في الاسهام في الثورة ، وجدها جاهزة لاحتضانه ودعمه. ومن الواضح اليوم ان بروليتاريا المخيمات الفلسطينية التي حصلت على السلاح وذاقت معنى التحرر والانتظام في العمل الثوري هي التي تشكل السياج الواقي للثورة التي ساعدتها على تحقيق انجازات اجتماعية وسياسية واقتصادية ملموسة . ولولا هذه الجماهير لكان ضرب القوات الفدائية المنظمة عملية غير معقدة* .

ومن الناحية اللبنانية لم يكن الوضع السياسي والاجتماعي في لبنان يتضمن عراقيل وتهديدات ذات خطورة اساسية بالنسبة للثورة الفلسطينية . فطبيعة النظام السياسي في لبنان القائم على اللبرالية والتوازن سمحت للثورة الفلسطينية ان تثبت حق وجودها من خلال صراع متواصل ولكنه متفاوت في حدته وضراوته . وعلى الرغم من تفاقم هذا الصراع في المرحلة الحالية ، فمن الواضح ان هناك ادراكا واضحا بأن اي حرب ضد الثورة الفلسطينية ستعني التصدي لمخيمات الفلسطينيين التي تضم حوالي مئتي الف نسمة ومعظم شبابها ورجالها مسلحون ومدربون . وعلى الرغم من الضغوط الاسرائيلية المتواصلة وعلى الرغم من الاعتداءات التي تشنها اسرائيل باستمرار على جنوب لبنان فمن الثابت ان السياسة الاسرائيلية الرامية الى احراج الحكومة اللبنانية ودفعها للدخول في معركة مكشوفة ومفاصلة مع قوات الثورة غير قابلة للتحقيق ، بسبب العوامل التي ذكرناها وعوامل اخرى كثيرة . ومن هنا كان التطور الاخير في طبيعة الاعتداءات الاسرائيلية على الجنوب ولا سيما في النصف الثاني من عام ١٩٧٢ ، اذ يشير مستوى الهجمات وتتابعها ومكوث القوات الاسرائيلية في مواقع لبنانية معينة الى ان القوات الاسرائيلية لم تجد محيصا عن التصدي المباشر للفدائيين وتولي عمليات القمع بنفسها وهو امر حاولت اسرائيل دائما ان تتجنبه لاسباب عسكرية وسياسية ونفسية . وقد نجحت تماما في تجنب المواجهة المباشرة في الاردن بعد ان قامت القوات الملكية بهذا الدور ، ولكنها — فيما يبدو — اضطرت الى اتباع الاسلوب المباشر في لبنان للتوصل الى اقفال الحدود اللبنانية الفلسطينية في وجه الفدائيين .

ومن الناحية العربية بدا جليا ان معظم القوى السياسية المسيطرة على الساحة العربية ادركت بعد تفجر الازمة في الاردن ان الثورة الفلسطينية لا يمكن ان تمحى من الوجود بفعل اية ضربة مهما كانت محكمة وانه لا بد من وجود قاعدة يتمركز فيها النشاط الثوري الفلسطيني ويتخذها متنفسا له ، ولم يكن لدى هذه القوى مانع من اتخاذ لبنان بديلا من الاردن لاعتبارات كثيرة منها الشعور بان حدود لبنان محمية دوليا مما يخفف كثيرا من

---

* للتفصيل في وضع الفلسطينيين في لبنان انظر : الحر ، ليلى : **الفلسطينيون في لبنان** ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ولا سيما ج ٢ (العلاقة مع الدولة اللبنانية) ، ملف **النهار** ، بيروت ، تموز ١٩٧٠ .